يبنونها. وقال الربّ: هو ذا هم شعب واحد ولجميعهم لغة واحدة، وهذا ما أخذوا يفعلونه. والآن لا يكفّون عمّا همّوا به حتى يصنعوه. هلمّ نهبط ونبلبل هناك لغتهم، حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض. فبدّدهم الربّ من هناك على وجه الأرض كلّها وكفّوا عن بناء المدينة. ولذلك سمّيت بابل».

تلك هي حكاية برج بابل، كما رواها كاتب سفر التكوين. ولعلّه من الخير لك ولي ألّا يفوتنا منها معنى «بابل». فالكلمة في الأشوريّة تعني «باب الله». وإذن فالذين بنوا برج بابل وجعلوا «رأسه إلى السماء» إنّما قصدوا أن يكون برجهم باباً يؤدي بهم إلى الله. وباب يؤدي إلى الله هو باب الحظوة بالمعرفة وبالقدرة وبالديمومة التي ما برح الانسان ينسبها إلى الله. وهي معرفة كـلّ شيء والقدرة على كلّ شيء، والديمومة التي لا تتحوّل ولا تتبدّل ولا ينال الموت منها منالاً.

إنّ هذه الحكاية الساذجة تتبطّن، كما ترى، عن مغازٍ كثيرة أهمّها وأبعدها في نظري هو أن الإنسان ما انفكّ منذ أقدم الأزمان يشتاق الوصول إلى الله، ومعرفته معرفة تمكنه من أن يصير مماثلاً له في كلّ شيء. فكأنّ ذلك